الفصل الثاني: سياقات اجتماعية فاصلة لتحديد مفهوم الرابط الاجتماعي

1. مسألة الرابط الاجتماعي و العصبية وهشاشة مبدأ الشمولية

لتحليل المجتمع كمفهوم مفكر فيه توجد جملة من التحديات المنهجية والابستيمولوجية، أهمها اين محل المجتمع اذا احتكمنا الى مبدأه الشمولي؟ اين يكمن تجسيد الاجتماعي كانعكاس للحتميات الاجتماعية الملزمة لسلوك الافراد المعدل بالثقافة العامة؟ وكيف السبيل لا برازه؟ واين اطارها التفاعلي في جملة النشاطات الفردية ؟

قدمت المدرسة الفرنسية الحديثة (Sous la direction de Jacque bouteiller, Par Paul Bouffartigue et d'autres، 2009، الصفحات 85-87) الاجراء العملي لتجاوز صعوبات التعريف لمصطلح الاجتماعي، من خلال المدخل الديمغرافي بمعنى منطق الكثافة السكانية عبر الحيز الجغرافي المحايث لعمليات تنميط الاشكال الاجتماعية، كأبرز واهم المجالات الاجتماعية المعبرة عن مجتمع معطى بصفته تجميعا للخصائص الثقافية.

حيث ادخل Gurvitch وهو ابرز المحدثين للنظرية السوسيولوجية، البعد التاريخي وبين بنظرة منهجية جدلية كيفية جرد المتغيرات الثقافية المرتبطة في علاقتها المتداخلة، لتؤدي دورا لفهم تطور الحركات الديمغرافية تبعا لتعريف الاجتماع الانساني في صورته الشمولية وهو بهذا التوجه قد دعي لفهم الواقع السوسيولوجي في شتى تجلياته المتداخلة، كحالة لا يمكن ادراكها الا من خلال التقرب الامبريقي، الذي تعد فيه **الروابط الاجتماعية** بين افراد الجماعات الانسانية مؤشرا قويا لوصف مناحي نشاطها المتغير، وكذلك غير الثابت على نمطية(سياسية) معطاة كما كان يأمل دوركايم في موقفه الايديولوجي المحافظ ، من اجل ارساء ما يسميه الدولة الراعية الشمولية، كتعبير عن الضمير الجمعي في فعاليته السياسية، غير ان Gurvitch قد انتقد في ما يوصف بالعوائق الابستيمولوجية لتعريف الشمولية والكلية في الظاهرة الاجتماعية لان العمليات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنوطة بها تقع رهينة التحديد السوسيوتاريخي ونظرة الانسان للعالم في زمن معطى (Sous la direction de Jacque bouteiller, Par Paul Bouffartigue et d'autres، 2009، الصفحات 109-112)

هنا نقف أمام المداخلة الخلدونية، التي تميزت في هذا الشأن بالتفكير في ايجاد الصياغة الاجتماعية لأحوال التجمعات البشرية من خلال طرح السؤال التالي: هل جلب المعطى التاريخي كقاعدة لفهم الاجتماعي تطابقا في مفهوم الظاهرة الاجتماعية بين المؤسس بن خلدون واصحاب المدرسة الفرنسية؟ سنتبنى في هذا الاطار المقاربة العامة التي اقترحهاMichel Arliaud والتي تدعو لتحويل الفهم للواقع الاجتماعي من النظرة الشمولية الى بنية **الروابط الاجتماعية**، كإطار أمبريقي للفهم السوسيولوجي بكل شروطه التاريخية والنفسية والتاريخية المحصلة للفاعلين وليس للأفراد الفردانيين.

ان حركة التجمعات البشرية في تطورها عبر التاريخ الانساني لا تعكس حسب بن خلدون اوضاعا اقتصادية بل تعرض تقلبات **الرابط الاجتماعي**، على سلم يعرض قوة الارتباط بين الأفراد حول فكرة جامعة وحتمية في التحديد السلوكي الفردي والجماعي. وليس هناك من اطار حيوي لم ينكره أحد من المفكرين على اختلاف هوياتهم الثقافية، مثل **الرابط الديني**. وهو مشروط بديناميكية لا تقرأ في مجال الكلية الشمولية وانما في اطار الوجود الفردي المتحرك تفاعليا ووجدانيا مع أطر واضحة المعالم لا سيما التاريخية والثقافية داخل جماعة معينة معطاة في زمن ما.

ان ورود فكرة الدين تكون دائما مرتبطة بالحالة الوجودية الدينية ولذلك فالانتقال الاجتماعي من حالة الى حالة لا تنم عن رقي في حال من احوال الحياة كما أن الناس لا يتغيرون عبر التواجد البشري، الا على مدى التحرك في مجال **الرابط الاجتماعي** بما يعني ما ذهب اليه (Lazega, Réseaux sociaux Et structures relationnelles, p. 6) الشبكات الاجتماعية كتعبير عن نشاط الفاعلين الاجتماعين الهيكلين في جماعات اقتصادية وتنظيمات اجتماعية، مترابطة في تراتبيات اجتماعية مختلفة تسمح بأجراء تحليلات سوسيولوجية دقيقة لتفاعل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واقعي، يمكن رسمه بصفة نموذجية في سياق اجتماعي عام كلما اتاح التحليل ذلك كنتيجة واضافة منطقية وليس كمصادرة مبدئية.

2. بنية الجماعات التاريخية

ان بنية الجماعات بمختلف تصنيفاتها المتشعبة وصعبة الحصر في صورة تاريخية واحدة بما فيها (جماعة عائلية جماعة عرقية أو دينية أو سياسية ...) هي حالة دائمة التشكل لكنها تشترك في مقوم أساسي يتمثل في التضامن فيما بين أعضاءها. أهم تجليات هذا التضامن هي ممارسة الطقوس الدينية المشتركة ووهي على نفس الشكل العام في كافة المجتمعات الأوروبية كما لاحظ.J. Blum (Birnbaum & Jean, 2016, p. 112)

إن فهم تشكل نمط من الجماعة يرتبط منهجيا بتحليل الأحداث التاريخية الاقتصادية والسياسية المرتبطة به، وهو ان كان في الغرب قد ارتبط بالحالة الاقتصادية الاقطاعية فهي في الشرق مرتبطة بالحالة السياسية السابقة لنشأة الدولة. (Birnbaum و Jean، 2016، صفحة 114)

بالعودة الى الحالة السوسيولوجية التي تواكب المرحلة الاقطاعية في أوروبا، فقد كانت **رابطة الدم** هي المتحكم الأساسي في بنية الجماعة ووحدتها لا سيما في المناطق الجرمانية أما في العالم السلافي فقد غلبت **الرابطة العائلية** على بنية الجماعة. وتتلخص الرابطة بين الفئتين بالأساس في التسيير المشترك في ممتلكات الاراضي كموقع اقتصادي يضفي الى تبني سلطة التمثيل للكل.

يمكن وفق ما سبق تقسيم الجماعة في اوروبا الى نمط سياسي للجماعة يحكمها نموذج اوروبا الغربية، ونمط الجماعة العائلي يمثله نموذج أوروبا الشرقية التي سارت تحت العائلة المركبة الى الملكية الخاصة للأراضي، أما في البلاد المغربية فإن بنية الجماعة تتلخص تارخيا في القبيلة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

3. طبيعة الرابط الاجتماعي ومفهومه

في غياب تعريفات دقيقة لمفهوم الرابط الاجتماعي سنحاول توضيح معانيه بحسب السياق المعرفي التأسيسي الذي صاغه المؤسس "اميل دوركايم" من حيث التعرض الى نموذجين اجتماعيين مركزيين (Paugam, 2008) فيتعلق النموذج الأول بما يطلق عليه المجتمع الأولي أو بعبارة أدق المجموعة la communauté التي يرتبط أعضاءها فيما بينهم بمشاعر الحب والتفاهم ويعبر الرابط الاجتماعي في هذه الحالة عن التفاهم والتفهم والتضامن الطبيعي والتلقائي، الذي يجد تعبيراته في الأسرة والجيرة والصداقة....

أما المعنى الأخر، فهو يعبر عن المجتمع الصناعي الذي يتميز بتعقد البنيات الاجتماعية وتباعدها، حيث يحل الرابط المباشر البسيط بين الأفراد ويستبدل في إطار صعود درجة الفردانية، بالمجتمع ليتحول إلى صيغة جديدة يعكسه نموذج تفاعلي غير مباشر، يطلق عليه علماء الاجتماع، النموذج العضوي في العلاقات وهو رباط وظيفي لا يتطلب العلاقات المباشرة، كما أنه يجمع أكثر من فئة اجتماعية وأكثر من تنظيم اجتماعي ذات انتماءات مختلفة، لكنها تعتمد تبادليا الواحدة على الأخرى في حركة منظمة وفعالة تتسم بارتفاع فردا نية الأشخاص كما تزيد درجة عقلانيتهم.

يؤكد Michel Arliaud في معرضه تحليله للموضوع الرابط الاجتماعي، على ضرورة تناوله من باب البحث عن رسم المجتمع في شموليته وذلك من منطلق هذا المفهوم الذي صاغه للرابط الاجتماعي: "الرابط الاجتماعي يشكل مبدأ في تحديد الممارسات ويسمح في الحصول على الوضع الشمولي للمجتمع" (Arliaud, 2009, p. 107)

وهو تعبيرا عن الاخلاص للمشروع التأسيسي لعلم الاجتماع، اذ بهذا الموضوع المحوري الذي يسمى الرابط الاجتماعي، يمكن لعلماء الاجتماع اعادة بناء وهيكلة النماذج النظرية الكلاسيكية والحديثة، لتوجيه الاسئلة باستمرار على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعاصرة الانسانية في مجال ضبط العلاقة مع النظام ومع الذات الانسانية كذات مبدعة ومنتجة لمعاني لا تنفصل عن الماضي والمستقبل.

إن مفهوم الرابط الاجتماعي من المواضيع المركزية في صلب التحليل السوسيولوجي، حيث لا تكاد تجد مفكرا أو عالما اجتماعيا إلا وقد تعرض لهذا الموضوع كإطار مرجعي، تبنى على أساس نقده أو تجديده أفكار ونظريات متعددة بشتى مشاربها ومواقفها المعرفية والفلسفية. حتى أن هناك من يعرف علم الاجتماع بعلم العلاقات الاجتماعية أو الرابط الاجتماعي ونذكر بهذا الصدد موقف أبرز هؤلاء المفكرين وهو "Michel Arliaud"إذ يرى بأن : "المشروع الأساسي لعلم الاجتماع هو تعميق البحث في قضية الرابط الاجتماعي حيث أن هذا المعطى المعرفي سيسمح بتناول هذا الموضوع في حالته الشمولية والحتمية" (Arliaud, 2009, p. 107).

كما أن للرابط الاجتماعي وجهين، رابطا بين الأفراد ورابط متعدد الاتجاهات. يكون الأول ضمن الجماعات كالأسرة، الجيران..... خاصة، أما الثاني فهو في المجتمعات المعقدة، بحيث يتواصل الفرد مع غيره عبر شبكة من العلاقات تؤطرها المؤسسات المجتمعية. عموما فجدوى الرابط من الناحية الاجتماعية حسب الباحث الفرنسي المهتم بصفة مختصة بسوسيولوجية الرابط الاجتماعي Serge Paugam (Paugam, 2008) تتعلق بالإجابة على سؤالين الأول: على من أعول في الحالات التي أحتاج فيها الآخرين؟ ويطرح هذا السؤال ضمنيا في الجماعات الأولية. أما السؤال الثاني: هل أعني للبعض؟ وهنا يحتاج الفرد الحصول ضمن المجتمع العضوي على فردانيته، دون فقدان الهوية المجتمعية التي تبنى بالشراكة مع الآخرين، غير المتعارفين بصفة مباشرة. لكن يبذل الفرد الجهد في سبيل ليس الاندماج وانما في سبيل التوافق الاجتماعي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خلاصة

يتعلق موضوع الرابط الاجتماعي بالنسبة لعلماء الاجتماع قديما وحديثا بالبحث عن صياغة علاقة مستقرة ومنتجة للانسجام والتقدم والرفاهية بين الفرد والنظام الاجتماعي (الاقتصادي والسياسي..)، يكون التعويل من هذا المنطلق على القدرة الخلاقة للإنسان في خلق النظام من كونه كائنا ثقافيا.

تتحد الثقافة في مجال الرابط الاجتماعي، من منطلق التوجه الفينومنولوجي بين محددي الماضي والمستقبل على أساس الاعتقاد الراسخ لدى علماء الاجتماع، بأن الانسان هو الذي يصنع التاريخ. لقد عبرت أعمال Reinhart Koselleck1979عن هذا التوجه بما يطلق عليه المشروع، حيث أن "تجارب وانتظارات اللاعبين لا تخلق فقط علاقات بين الأفراد الذين يعيشون في مواقف أو أوضاع متشابهة بل هي تخلق أيضا الرابط بين الماضي والحاضر والمستقبل منذ النهضة والاصلاح ، في أوروبا على الأقل، إن الانتظارات تبحث عن تحققها أكثر فأكثر في العالم أي في المجتمع." (سبورك، 2009، صفحة 140).

عموما فإن القطيعات ودرجتها بين الماضي والحاضر هي لب النقاش السوسيولوجي في مجال مناقشة وتقييم امكانيات الأفراد لبناء مستقبلهم واطارهم التفاعلي، ولعل هي بؤرة اشكالية الحداثة في البيئة العربية بين دعاة الأصالة ودعاة الحداثة وعلاقة هذه الاشكالية بمستوى ومصير الرابط الاجتماعي فيما بعد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner